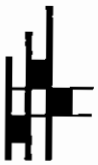

الباب الثاني

الحواضن الدينية والثقافية للتطرف

في هذا الباب نذكر بعض المجهـودات البحثيـة التـي اهتمـت بتحليـل ظـاهرة التطرف والعنف في المنطقة العربية، ثم نتتبع تطور أيديولوجيا التطرف في النطـاق السني، بالإضافة لأثر الصحوة الشيعية كحواضن دينية وثقافية أنتجت القاعدة ثم داعش والدولة الإسلامية.

تحليل أسباب التطرف في المنطقة

أ. في عام ٢٠٠٦م نظم نادي مدريد بعثات لست دول عربيـة، وبعـد زيارتهـا عقد النادي مؤتمراً في منتجع بشاطئ البحـر الميـت في ينـاير ٢٠٠٨م شـارك فيـه مندوبون من ١٩ دولة عربية. مندوبون مثلوا أحزاباً حاكمة وأخرى معارضة. وبعد الاستماع لتقارير المبعوثين للدول الست وتداول الآراء أصـدرنا (إعـلان البحـر الميـت) وخلاصـته: أن المنطقـة تعـاني مـن احتقـان في العلاقـة بـين الحكـام والمواطنين ما يستوجب إجراء حوار لتحقيق إصـلاح سياسـي تجنبـاً للانفجـار. حوار لم يحدث.

وتناول البرنامج التنموي للأمم المتحدة (UNDP) مسألة التنمية البشـرية في العالم العربي. وأصدر تقارير أهمها تقاريره للأعوام: ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤م.

- التقرير الأول أشار إلى أن ثلاثة عيوب تعيق التنمية البشرية في العالم العربي هي: نقص الحرية، والمعرفة، وتمكين المرأة.
- التقرير الثاني ركز على نقص المعرفة.
- التقرير الثالث ركز على قضايا الإصـلاح السياسـي وانتقـد الواقـع القـائم

وحدد شروط الإصلاح السياسي المنشود.

تكرر السؤال في الغرب لا سيما بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لماذا يكرهوننا؟ تناول كثيرون الرد على هذا السؤال باعتبار أن التطرف والعنف الموجه ضد الولايات المتحدة سببه تظلم المسلمين من السياسات الأمريكية التي تدعم الطغاة وهم يبطشون بالشعوب، وتدعم إسرائيل وهي تبطش بأهل فلسطين.

إنشاء دولة إسرائيل في المنطقة إجراء متطرف أفرز تطرفاً مضاداً. قال مايكل أورن في كتابه سياسة أمريكا في الشرق الأوسط منذ ١٧٧٦م حتى الحاضر: «لا يوجد في مجال الهندسة الاجتماعية فعل أكثر تطرفاً من تأييد أمريكا لقيام دولة يهودية وسط عالم عربي شديد العداء لذلك». وأضاف: «النقاد منذ الحرب العالمية الأولى أنذروا أن هذا الإجراء من شأنه أن يسبب حروباً بلا نهاية»[١].

ولكن تقرير البرنامج التنموي للأمم المتحدة ركز على أن أسباب التطرف والعنف المصاحب له يعودان لأسباب داخلية هي الافتقار للمشاركة والمساءلة والشفافية وسيادة حكم القانون في الحكم، وغياب العدالة الاجتماعية، وضيق آفاق الحياة أمام أجيال الشباب.

الحقيقة أن السببين يفسران حالة العنف والاحتجاج المنتشرة في شعوب المنطقة.

ينبغي أن يضاف لتفسير بروز دور هاتين الحركتين، أنهما تنهلان من أيديولوجية «إسلاموية» متعدية للحدود القطرية ومغروسة في عقائد تقليدية، وانطلاقاً من هذه الإيديولوجية فإن القاعدة تتصدى لرفض علاقة غير متكافئة بين الولايات المتحدة ودول عربية إسلامية. «والدولة الإسلامية» تتصدى لعلاقة طائفية غير متكافئة. الأولى تعبر عن رفض ذي سند شعبي للهيمنة الدولية. والثانية

(١) *Michael B. Oren* ,Power, Faith, and Fantasy: America in the Middle East: 1776 to the Present

تعبر عن رفض ذي سند سني للنهضة الشيعية.

الأيديولوجية المنكفئة

في عهد النبي ﷺ كان النبي وهو يوحى إليه يرحب بالشورى ويستجيب للرأي الآخر حتى إذا خالفه. حدث هذا في موضوع تأبير النخل، وفي الموقع المختار في بدر، وفي الخروج من المدينة أم اللقاء في جبل أحد، ونفذ رأياً لصحابي في أمر حفر الخندق هو رأي سلمان الفارسي[1]، وامتثل لرأي صحابية هي السيدة أم سلمة في محنة الحديبية[2]، واستخدم نقوداً أجنبية، وأمر بتعليم لغات الآخرين وهلم جرا. وسار الخلفاء الراشدون على هذه السنة لا سيما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[3].

لذلك عندما اتصل المسلمون بثقافات الأمم الأخرى رحبوا بالعلوم العقلية، فالعقل ومشتقاته وارد في أكثر من خمسين موقع في القرآن، والركون للبرهان العقلي من أقوى شواهد القرآن: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[4].

روى حديث قدسي أن الله قال للعقل: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْت خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْك: بِك آخُذُ وَبِك أُعْطِي وَبِك أُثِيبُ وَبِك أُعَاقِبُ»[5].

وتفلسف ابن رشد[6] مبيناً: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من

(١) سلمان الفارسي أو سلمان المحمدي (568 ـ ٦٥٦م) صحابي جليل.

(٢) صلح الحديبية: هو صلح عقد في شهر شوال من العام السادس للهجرة (مارس ٦٢٨ م) بين المسلمين وبين قريش، بمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

(٣) عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ- ٢٣ هـ)، أمير المؤمنين، هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي، الخليفة الراشد الثاني.أول قاض وأول من أرخ بالهجرة وأول من دون الدواوين في الإسلام. اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي.

(٤) سورة البقرة الآية (١١١).

(٥) سنن الترمذي.

(٦) ابن رشد(٥٢٠هـ/ ١١٢٦م- ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م)- الحفيد- هو محمد بن احمد بن محمد بن رشد الأندلسي، ألف في الفقه والأصول واللغة والطب والفلك والفلسفة.

الاتصال.

وقال الشاطبي[1]: أحكام الإسلام لا يجوز تطبيقها إلا على عاقل وما من شيء أوجبه الشرع إلا قبله العقل.

وقامت فرقة كاملة هم المعتزلة[2] على عقلانية الشريعة الإسلامية.

وامتدح العقل قال الحكيم:

إِذَا طَالَ عُمْرُ المَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلاَ

ولكن لأسباب كثيرة حصلت ردة عن المنطق والفلسفة بصورة انتصر لها الإمام الغزالي[3] في «المنقذ من الضلال» ثم راجت مفاهيم شيطنت المنطق: من تمنطق تزندق. وطردت الفلسفة:

لا خير فيما كان أوله فلٌ وآخره سفه!

وصار لدى كثيرين أن العلم نقلي فحسب.

العلمُ ما كانَ فيه قال حدثنا وَمَا سِوى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

هذا النهج غلب منطقاً صورياً في الفقه، فما على المجتهد إلا القياس والإجماع. فالنص هو الحاكم في أمر الدين، ولا مشروعية إلا لما يقاس عليه. والنتيجة أن الأقدمين قد فهموا النصوص وأجروا عليها ما يلزم من قياس وإجماع فلم يبق

(١)الشاطبي (الإمام) (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م- ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)هو أبو محمد القاسم بن فيرة بن أحمد الشاطبي الرعيني (نسبة إلى ذي رعين اليمنية) . ولد في مدينة شاطبة بالأندلس وإليها نسبته.

(٢)المعتزلة فرقة في علم الكلام (أي العقائد) ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ- ١٣١هـ) في البصرة في أواخر عهد بني أمية وازدهرت في العصر العباسي. اعتمدت على العقل في تأسيس العقائد مقدما على النقل. ركزوا على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي.

(٣)أبو حامد الغزّالي، (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ٥٠٥ هـ/ ١١١١م)، الإمام، هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري. أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر العلماء المسلمين.

للاحقين إلا التقليد وفقاً للمقولة في جوهرة التوحيد.

وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّهْ وأَبُو الْقَاسِمْ هُدَاةُ الْأُمَّهْ
فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمُ كَذَا حكى الْقَوْمُ بِلفْظٍ يُفْهَمُ

التعطيل للعقل البرهاني والحكم ببطلانه. وحصر الاجتهاد الفقهي فيما يسمح به المنطق الصوري صحبتهما نكسة كبرى عندما نصح المغيرة بن شعبة[1] معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد[2]. وفي مجلس البيعة ليزيد قال ابن المقفع[3] أمير المؤمنين هذا. وأشار لمعاوية[4]. فإن هلك فهذا وأشار ليزيد. ومن أبا فهذا وأشار للسيف. قال له معاوية: اجلس فإنك سيد الخطباء[5]. ومنذئذ صارت الخلافة وراثية ووسيلتها التغلب هكذا انفصلت ولاية الأمر من الشورى وقفل باب الاجتهاد السياسي بحالة صورها دعبل الخزاعي[6]:

خليفةٌ ماتَ لم يَحْزَنْ لـه أحدٌ وآخرُ قامَ لم يَفْرَحْ بـه أحدُ
فمَرَّ هذا ومَرَّ الشؤمُ يتبعُه وقامَ هذا فقامَ الشؤمُ والنَّكَدُ

وصار من لا يمتثل لهذا الدستور باغياً وهرع جمهور الفقهاء يطبقون مقولة ابن

(١) المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠م) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي. أبو عبد الله. من الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة والدهاء.

(٢) يزيد بن معاوية (٢٥- ٦٤هـ/ ٦٤٦- ٦٨٤م)، بويع خلفا لوالده بحياته في سنة ٥٠هـ بيعة إكراه وتسلسل الحكم من بعده لبني أمية. حكم حوالي ثلاث سنوات.

(٣) أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع (١٠٦ - ١٤٢ هـ): مفكّر فارسي اعتنق الإسلام من المجوسية، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية.

(٤) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق.هـ- رجب٦٠ هـ/ ٦٠٢- ٦٨٠م) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي. صحابي أسلم يوم فتح مكة وهو أول من حول الخلافة إلى ملك بني أمية العضود.

(٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ، - ج٣ ص١٩٨.

(٦) دعبل الخزاعي (١٤٨-٢٢٠هـ): محمد بن علي بن رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعه لآل البيت وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين.

حجر العسقلاني[1]: لقد اجمع الفقهاء على طاعة المتغلب والقتال معه. هذا ما كان من أمر الواقع.

ولكن تداول بعض العلماء أمر الخلافة فوضعوا مقاييس نظرية ظلت افتراضية ولم تمس حقيقة الواقع. نظرية كان أوضح معبر عنها الماوردي[2] في كتابه «الأحكام السلطانية». قال: خليفة المسلمين هو خليفة النبي ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ومؤهلاته أن يكون عالماً ومجتهداً وشجاعاً، وسليم البدن والحواس، وقرشي النسب، ويختاره للخلافة أهل الحل والعقد، وهم خيار الأمة بمقياس الشرع من الرجال العدول.

ولكن بعيداً من هذا التنظير صارت الخلافة وراثية. والواجب على الخليفة تطبيق الشريعة بمعنى الأحكام التي استنبطها الفقهاء. ويتطلب هذا النظام اعتقاداً في الولاء والبراء يحصر الولاء في أخوة الإيمان، والبراء من غيرهم. براء يعتبر ديار غير المسلمين ديار حرب، وهذا معناه أن علة القتال في الإسلام هي اختلاف الملة.

ويمتد البراء حتى للذين يعيشون مع المسلمين بمعاملة: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ» هذا ما رواه الترمذي.

ومن نصوص هذا الفقه أن الكافر يسلم أو يدفع الجزية أو يقتل، وأن المرتد يستتاب أو يقتل.

هذه المفاهيم كما هي ما زالت معتمدة لدى كثيرين، ومعتبرة أحكام الدين.

(١) العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ): شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني، المحدّث الملقب بأمير المؤمنين في الحديث، الكناني القبيلة، الشافعي المذهب، المصري المولد.

(٢) الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ): هو علي بن محمد بن حبيب البصري، العالم، القاضي، كان معتزليا في الأصول وشافعياً في الفروع.

وكثير من العلماء يقولون بها وتدرس في معاهد. بل كثيرون حتى يومنا هذا يرفضون إلغاء الرق، بحجة أنه مشروع في القرآن، وكذلك ملك اليمين ويقولون إن الرق مشروع في الكتاب والسنة وفي ممارسة المسلمين. وعلى أساس هذه الأحكام اتخذ الخلفاء المماليك الذين قويت شوكتهم حتى حكموا مصر ما بين (١٢٥٠-١٥١٧م)، ونظام الرق هذا اعتمده العثمانيون وهو أساس الجندرمة، وهم رقيق أبيض من أطفال الشعوب السلافية.

وفي بلاد الشيعة سادت ولاية وراثية على قمتها الشاه[١]، وطبق فقهاً جعفرياً مشابهاً لفقه أهل السنة في كثير من أحواله، ومخالفاً في بعض أحكامه. وفي المجال الشيعي أيضاً استمر الواقع السلطاني مخالف للنظام الافتراضي الذي اعتمده فقهاء الشيعة، باعتبار أن هنالك ١٢ إمام تجب على المسلمين طاعتهم وإمامتهم بتعيين إلهي مثل النبوة. هؤلاء هم الأئمة: علي، والحسن[٢]، والحسين[٣]، وعلى زين العابدين[٤]، ومحمد الباقر[٥]، وجعفر الصادق[٦]، وموسى الكاظم[٧]، وعلى

(١) الشاه: كلمة تلقب لملوك إيران، وآخرهم الشاه محمد رضا بهلوي.

(٢) الحسن بن علي (٣ ق.هـ-٥٠هـ): هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. أبو محمد. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه، مدة خلافته ستة أشهر.

(٣) الحسين بن علي (٤هـ-٦١هـ): الحسين بن علي بن ابي طالب، أبو عبد الله، السبط الشهيد، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، نشأ في بيت النبوة، الإمام الثالث لدى الشيعة، بايعه أهل الكوفة للخلافة فبطش بهم يزيد وقتل على يد الأمويين في موقعة كربلاء.

(٤) علي بن الحسين بن علي، السجاد (٣٨ هـ - ٩٥ هـ): اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم.

(٥) محمد الباقر (٦٧٦م - ٧٣٢م): أبو جعفر، الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية) و(الإسماعيليون)، ومن فحول علماء الإسلام، له عدة أحاديث في الصحيحين، ولقب بالباقر لبقره العلوم بقراً (اي أظهر العلم إظهاراً)..

(٦) جعفر الصادق (٨٠-١٤٨هـ)، الإمام، جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. الإمام السادس لأئمة الشيعة، عالم جليل وعابد فاضل، لقب بالصادق.

(٧) موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨-١٨٣هـ): الإمام السابع عند الشيعة الإثنا عشرية، عاصر فترة حساسة من تاريخ المسلمين. كنيته أبو إبراهيم وأبو الحسن.

الرضا[1]، ومحمد التقي[2]، وعلي النقي[3]، والحسن العسكري[4]، والثاني عشر هو ابنه محمد الحسن العسكري[5] الذي غاب ويعود عندما يحين وقت ظهوره، وهو الإمام المهدي.

هذا هو الاعتقاد المثالي لدى الشيعة، وفي غيبته تداول الحكم سلاطين بالوراثة، وتولى أمر التوجيه الديني مراجع التقليد، وهم فقهاء على الجمهور تقليدهم.

العالم الإسلامي السني، والشيعي، والصوفي، على اختلاف في الدرجة صار خاضعاً لنظم استبداد سلطاني يضع قيوداً على الاجتهاد الفكري والسياسي والفقهي، وإن كانت المرجعيات الشيعية تحظى بدرجة أعلى من الاجتهاد الفقهي في إطار المذهب الجعفري.

هذا الركود هو الذي عطل حيوية شعوب أمتنا، وجعلها عرضة لغزو أوروبا: أبرز قوتها تحرير الشعوب، ونظم حكم فيها المشاركة، والمساءلة، ومجتمعات فيها حرية البحث العلمي، ونظم عسكرية ذات تنظيم وتسليح لا يجارى مكنهم من احتلال بلاد المسلمين قطراً قطراً. واجهتهم مقاومة ولكنها كانت غير متكافئة. مثلاً: احتلال مصر، والجزائر، والسودان، وسائر البلدان كان فيها تفوق الغزاة ساحقاً.

عهد الاحتلال هذا طبق حداثة في نظام الحكم وفي القوانين لم تأبه بأية مواءمة

(١) أبو الحسن علي بن موسى الرضا (١٤٨ - ٢٠٣هـ): وُلد في المدينة ثامن الأئمة الاثنا عشر. لقب بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيدًا عن أرض آبائه.

(٢) أبو الحسين الإمام أحمد المستور التقي بن الوائي أحمد (١٩٨ -٢٢٥هـ): الإمام التاسع للشيعة الإسماعيلية.

(٣) الإمام علي ابن محمد الهادي (النقي) (٨٦٨ - ٨٢٩هـ): هو الإمام العاشر لدى الشيعة الاثنى عشرية.

(٤) الحسن بن علي العسكري (٢٣٢ - ٢٦٠هـ): الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية، ولُقِّب بالعسكري نسبة إلى مدينة العسكر بالقرب من بغداد.

(٥) محمد الحسن العسكري (ولد ١٥ شعبان ٢٥٥هـ): المتمم لسلسلة الأئمة عند الشيعة الاثنى عشرية، فهو لديهم الإمام المهدي الغائب والمنتظر.

بينها وبين قيم المجتمع. بل أغفل الإسلام تماماً في رسم السياسة العامة وحصر الدين في المجال الشخصي، وصارت مصادر التشريع للمجتمعات المسلمة في البلدان المختلفة هذه كلها وافدة من دول الاحتلال.

وحتى بعد الاستقلال فإن تلك النظم بقيت وتعاقب على حكم دول ما بعد الاحتلال نخب أبقت على النظم الموروثة من عهد الاحتلال، وحتى المؤسسات الدينية الرسمية تعايشت معه ولم تتحدى سلطانه. ولكن في المجال الأهلي تناول مفكرون الحديث عن شرعية اقتباس النظم والثقافات الوافدة.

يمثل د. طه حسين[1] في مصر لا سيما في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» قبولاً كاملاً للثقافة والنظم الأوربية باعتبارها تمثل مستقبل الإنسانية، وينبغي استصحابها بخيرها وشرها. هذا النهج وجد أقوى تطبيق له في تركيا بقيادة مصطفى كمال[2]، وفي إيران بقيادة محمد رضا بهلوي[3] وابنه.

ولكن انطلقت حركات أهلية في مجال البلاد السنية والبلاد الشيعية ترفض النظم الثقافية الوافدة وتنادي بالتأصيل.

من هذه المدارس التأصيلية مدارس تمثل حواضن ثقافية ودينية للقاعدة و«الدولة الإسلامية» المزعومة.

تطور الفكر الإسلامي حول قضية التأصيل:

أول صياغة لربط الدين بممارسة ماضوية جاءت على لسان سعيد بن جبير

(١) طه حسين (٢٨ أكتوبر ١٨٨٩ - أكتوبر ١٩٧٣م)، عميد الأدب العربي، ولد في محافظة المنيا في أعالي مصر، نصب وزيرا للتربية عام ١٩٥٠.

(٢) مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١-١٠ نوفمبر ١٩٣٨) قاد معارضة الخلافة العثمانية والتوجه الإسلامي، وإقامة الجمهورية التركية وعاصمتها أنقرة في ١٩٢٣ وانتخب رئيسا لها، ومثلت تعاليمه أصولية للدولة في تركيا حتى الآن.

(٣) محمد رضا بهلوي طهران (١٩١٩ - ١٩٨٠م): تولى عرش إيران ١٩٢٦م آخر شاه (ملك) يحكمها قبل قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م لقب بـ (شاهنشاه) أي ملك الملوك.

(ت٩٤هـ)[١] قال: ما لم يعرفه البدريون فليس بدين. أي أن الدين هو الاقتداء بالصحابة وما عدا ذلك بدعة.

وأهم من ربطوا الدين بظاهر النصوص هم الظاهريون. قال عميدهم وهو ابن حزم الأندلسي[٢]: الدين هو ما يدل عليه ظاهر النص بلا حاجة لتأويل.

ابن تيمية[٣] (ت 728 هـ) أفزعه عدوان الصليبيين والتتار على بلاد المسلمين وروعه تمدد الفكر الفلسفي، والصوفي، والشيعي، فقرر أن مذهب أهل السنة هو الالتزام بنصوص القرآن والسنة كأصل للدين دون تأويل. هذا الفهم للدين عارضته مدارس أخرى، ولكنه وجد لاحقاً دعماً قوياً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤] الحليف لرجل الدولة القوي الملك عبد العزيز آل سعود[٥].

الشيخان جمال الدين الأفغاني[٦] ومحمد عبده[٧] كانا يريان أن الإسلام يقبل

(١) سعيد بن جبير الأسدي (٤٦ - ٩٥ هـ): تابعي حبشي الأصل، كان إماماً للكوفة ومعلماً لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب مشاركته في الثورة على بني أمية.

(٢)ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فارسي الأصل، ولد في قرطبة، كان ظاهري المذهب.

(٣)ابن تيمية (شيخ الإسلام) (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م- ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، وتيمية هي والدة جده الأعلى محمد. من أبرز رموز الإحياء الديني في القرن الثامن الهجري ومن أهم علماء المسلمين الذين امتد تأثيرهم حتى الآن.

(٤)محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي (١٧٠٣م - ١٧٩١م) صاحب الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية، عقد تحالفا دينياً سياسياً مع الأمير محمد بن سعود، هو أساس الملك السعودي الذي استلم الرياض عام ١٩٠١م وحتى الآن.

(٥)الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (١٨٧٣ - ٩ نوفمبر ١٩٥٣)، ينحدر إلى أسرة آل سعود الحاكمة في نجد، ومؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة عام ١٩٠١م.

(٦) محمد جمال الدين الحسيني، السيد، (الأفغاني) (١٨٣٨ – ١٨٩٧): ولد بأسد أباد بإيران، شاع أنه أفغاني وقد كانت له تجارب سياسية في الهند وفي أفغانستان ثم في مصر ضد الاستعمار البريطاني وهو من أهم رموز اليقظة الإسلامية الحديثة.

(٧) محمد عبده، الشيخ (١٨٤٩ -١١ يوليو عام ١٩٠٥ م) العالم المصري الأزهري المجدد، وزميل الأفغاني في الدعوة للنهضة.

الانفتاح على العصر. وأن التحديث مطلوب ولكن بصورة تنطلق من التأصيل لا تتم على حسابه. قال الشيخ الأفغاني: «يا معشر المسلمين إذا لم نؤسس نهوضنا وتقدمنا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه».

سجل الشيخان آراءهما في مجلة أصدراها في باريس بعنوان: «العروة الوثقى». وفصل تلميذهما الشيخ محمد رشيد رضا[1] تلك الآراء في تفسيرهما للقرآن بعنوان «تفسير المنار». هذه المدرسة وقف إلى جانبها كثيرون يرون أن الإسلام يرحب بكل ما ينفع الناس.

قال الشيخ المراغي[2] أحد أقطاب هذه المدرسة: قدموا لي أي شيء ينفع الناس وأنا أنبئكم بسنده من الشريعة الإسلامية.

الفقه التقليدي ثروة تشريعية، ولكنه مقيد بالمنطق الصوري من قياس وإجماع. ولكن شريعة الإسلام توجه أحكامها مقاصد أهمها:

- إذا المنقول واجه المعقول يسقط المنقول، مثلاً مقولة الرازي[3] عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾[4] قال أي برأي العين.

- و«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[5]، والمشقة توجب التيسير، والتكليف بحسب

(١) محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/ - ١٩٣٥م١٨٦٦)، صاحب المنار، مفكر وكاتب وعالم وناشط سوري إسلامي اشتهر بإصداره لمجلة المنار الشهيرة في الثقافة الإسلامية.

(٢) محمد مصطفى المراغي (١٨٨١ - ١٩٤٥)، الشيخ، عالم أزهري وقاض شرعي مصري، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من ١٩٢٨ حتى استقالته في ١٩٣٠ ثم تولى المشيخة مرة أخرى عام ١٩٣٥م حتى وفاته.

(٣) فخر الدين الرازي (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م - ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، إمام مفسر، عالم موسوعي في العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية والبحتة. ولد في مدينة الري بإيران الحالية، قرشي تيمي النسب. له تصانيف كثيرة أهمها: التفسير الكبير الذي سماه "مفاتيح الغيب".

(٤) سورة الكهف الآية (٨٦).

(٥) رواه ابن ماجة.

الوسع، والضرورات تبيح المحظورات.

الاجتهاد الصحيح هو الذي يحيط بالواجب اجتهاداً، وبالواقع، ثم يزاوج بينهما.

هذه المدرسة المذكورة، لها شيوخها كذلك المجتهدون في المغرب العربي كابن عاشور[1]، وابن باديس[2]، وفي تركيا كبديع الزمان النورسي[3]. وآخرون.

الشيخ محمد رشيد رضا صدمه احتلال الفرنسيين لسوريا فانتقل فكره من هذه المدرسة الإصلاحية للمدرسة «السلفية». في هذه المرحلة تأثر كثيرون بفكر الشيخ محمد رشيد رضا منهم الشيخ محب الدين الخطيب[4] الذي قال بالسلفية كذلك بمعنى أن اتباع السلف الصالح هو أساس الدين.

ومن تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا الشيخ حسن البنا[5] الذي قال بالأصولية أي أن اتباع الكتاب والسنة هو أصل الدين. وعلى أساس هذه الأصولية كون حركة الأخوان المسلمين. الحركة الأخوانية أعطت العمل الإسلامي قيمة مضافة أهمها:

- التصدي للفكر العلماني بألا دور للدين في الحياة العامة.
- تكوين تنظيم شعبي متشابك وتراتبي لبث الدعوة.

(١)محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩م-١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٢م) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته. يعد تفسيره للقرآن (التحرير والتنوير) من أقيم كتب التفاسير.

(٢)عبد الحميد بن باديس (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م-١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م) من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(٣)بديع الزمان نور الدين النورسي، (١٨٧٧م - ٢٣ مارس ١٩٦٠م) أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن. من أصل تركي كردي ونورس قرية في شرقي الأناضول.

(٤) محب الدين الخطيب (١٣٠٣ هـ- ١٨٨٦م ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م)، الشيخ، سوري، من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، من أعلام الفكر السلفي..

(٥)حسن البنا (شعبان ١٣٢٤-ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ/ أكتوبر ١٩٠٦- ١٢ فبراير ١٩٤٩م) مؤسس جماعة الأخوان المسلمون بمصر.

- خوض العمل السياسي باسم دعوة إسلامية.
- تنظيم أنشطة اجتماعية واسعة النطاق كجزء من الدعوة.
- بسط التنظيم بصورة تتجاوز الحدود لتعم أقطار العالم الإسلامي.

في فكر الشيخ حسن البنا بذور لاتجاه معتدل وآخر متطـرف. وبعـد اغتيالـه في عام ١٩٤٩م اختلف قادة الحركة ثم اتفقوا على اختيار المستشار (القاضي) حسن الهضيبي الذي كان قد بايع البنا سراً مرشداً للأخوان المسلمين.

مرت الحركة الاخوانية في عهد الشيخ حسن الهضيبي بعدة محن أولها في عـام ١٩٥٢م لدى قيـام الثـورة المصـرية ومـا شـاب العلاقـة بـين الضـباط الأحـرار والأخوان. ثم محنة ١٩٥٤م لدى محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر[١] ومـا تبع ذلك من محاكمات وسجون. من أهم سجناء الحركة الأستاذ سيد قطب الذي حوكم ١٥ سنة سجناً قضى منها ٩ سنوات وأفرج عنـه في عـام ١٩٦٤م لأسـباب صحية. التجربة المرة التي مر بها دفعته إلى فكر راديكـالي كفـر بموجبـه المجتمـع ودعا للحاكمية التي قال بها قبل ذلـك الشـيخ أبـو الأعـلى المـودودي الهنـدي[٢] وفحواها: أن الدين هو نظام للحكم هذا الحكم تطبقه طليعة مسلمة. لذلك كتـب كتاب «معالم في الطريق» لتسترشد بها هذه الطليعة الحاكمة.

كان مرشد الأخوان الشيخ حسـن الهضـيبي في السـجن فنشـر كتابـاً معارضـاً للمعالم بعنوان: «دعاة لا قضاة».

مرت حركة الأخوان بمحنة أخرى عام ١٩٦٥م حيث اتهم الأستاذ سيد قطـب بتدبير اغتيالات، وحوكم بالإعدام، وأعدم عام ١٩٦٦م. منذئذٍ صـارت تتجـاذب

(١) جمال عبد الناصر حسين سلطان على عبد النبي (١٥ يناير ١٩١٨ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠). أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، تولى الرئاسة بعد الرئيس محمد نجيب عام ١٩٥٤م وحتى وفاتـه وصـار أحد رموز القومية العربية.

(٢) أبو الأعلى المودودي (١٩٣٠- ١٩٧٩م): مؤسس الجماعـة الإسـلامية في الهنـد عـام ١٩٤١م ويعد من أكبر منظري الحركة الإسلامية الحديثة.

حركة الأخوان مدرستان: الهضيبية، والقطبية.

الفكرة السلفية تفرعت كذلك لعدة مدارس أهمها:

• المدرسة الألبانية المنسوبة للشيخ ناصر الدين الألباني[١] القائل: إن السنة وأقوال الصحابة هم الذين يفسرون القرآن. وأضاف: طاعة ولي الأمر ملزمة تجنباً للفتنة. بل قال: من السياسة تجنب السياسة.

• مدرسة الشيخ محمد سرور زين العابدين[٢] الذي خلط بين الفكرة السلفية وآراء الأستاذ سيد قطب. هذا المزج بين فكر سلفي وفكر قطبي يعلي شأن الحاكمية قال به كذلك الأستاذ عبد الله عزام[٣].

• تتلمذ على الأستاذ عبد الله عزام أسامة بن لادن في جامعة سعودية. وبعد الغزو السوفيتي لأفغانستان هرع الأستاذ عبد الله عزام وتلميذه إلى باكستان للمساهمة في تنظيم الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان. انضم للشيخ أسامة بن لادن د. أيمن الظواهري[٤] قائد الجماعة الإسلامية المصرية، وبعد جلاء السوفيت من أفغانستان كون هذا التحالف الجهادي قاعدة الجهاد نقتال الصهيونية والصليبية في عام ١٩٩٨م. هذه القاعدة تقول بالحاكمية التي ركز عليها الشيخ أبو الأعلى المودودي والأستاذ سيد قطب.

• قال الشيخ المودودي: الألوهية والسلطة تستلزمان بعضهما بعضاً. وكلمة

(١) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (١٩١٤ – ١٩٩٩م)، من أهم الفقهاء المسلمين المعاصرين.

(٢) محمد سرور بن نايف زين العابدين (١٩٣٨م): رجل دين سوري ومعلم مؤسس مركز دراسات السنة النبوية في بريطانيا ومنه أطلق مجلة السنة التي كانت ممنوعة في معظم الدول العربية.

(٣) عبد الله يوسف عزام (١٣٦٠ - ١٤١٠هـ)، فلسطيني، سلفي إخواني من قادة المقاتلين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي يوصف بأنه رائد الجهاد الأفغاني ومن أعلام جماعة الإخوان المسلمين.

(٤) أيمن الظواهري (ولد ١٩ يونيو ١٩٥١م): طبيب جراح مصري وزعيم تنظيم القاعدة خلفاً لاسامة بن لادن، وزعيم تنظيم الجهاد الإسلامي العسكري المحظور في مصر.

الدين في القرآن مكونة من أربعة معان:

- الحاكمية والسلطة العليا لله.
- النظام الفكري المكون تحت تلك الحاكمية.
- المكافأة التي تنالها تلك السلطة على إتباع ذلك النظام.
- الطاعة لتلك الحاكمية.

إن الربط بين الالتزام الديني وولاية الأمر نشأ في أول نشأته لدى الخوارج الذين قالوا: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[1] ومن عارض ذلك كفروه. قال الإمام علي[2] رداً على ذلك: هذه كلمة حق أريد بها باطل نعم إن الحكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون الإمرة لله.

عاش الشيخ أبو الأعلى المودودي في الهند حيث التعصب الهندوسي الذي يجمع بين الدين والإثنية بصورة فريدة وطاردة للآخرين لدرجة أن المتعصبين الهندوس اغتالوا زعيم بلادهم (المهاتما غاندي) لتسامحه مع الآخرين لا سيما مع المسلمين. هذا المناخ المأزوم بهجمات التعصب الهندوسي هو الذي أعطى ولاية الحكم باسم الحاكمية موقعها في فكر المودودي، وفي سيرة الأستاذ سيد قطب ظروف تأزم مماثلة.

لم يكن الأستاذ قطب عريقاً في الانتماء لحركة الأخوان المسلمين. ولكنه انضم إليها لاحقا. وفي عام ١٩٥٤م عارض الأخوان المسلمون اتفاقية الجلاء التي أبرمها الرئيس جمال عبد الناصر مع بريطانيا. وأصدروا بياناً رمى عبد الناصر بالخيانة ولمح لإبرام اتفاق سري مع إسرائيل، ونال سيد قطب عقاباً صارماً لأنه كان كاتب ذلك البيان باعتراف زملائه. حكم عليه بالسجن ١٥ عاماً وأفرج عنه

(١) سورة البقرة الآية (٥٧).

(٢) علي بن أبي طالب (ت٤٠ هـ/ ٦٦٠م): هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين.

لأسباب صحية بعد ٩ سنوات.

بعد الإفراج عنه اتصل به بعض الشباب من الأخوان وقالوا له إنهم معجبون بآرائه كما في كتاب «المعالم» وأنهم كونوا تنظيماً حركياً عرضوا على بعض قادة الأخوان أن يتزعموه ولكنهم رفضوا فهم يعرضون عليه تزعمه. وافق على ذلك وصار يقود تنظيماً خاصاً داخل تنظيم الأخوان العام. كان لهذا التنظيم أجندة خاصة كشفتها السلطات وحوكم سيد قطب بالإعدام واعدم في ١٢/٨/١٩٦٦م.

جاء في كتاب «معالم في الطريق»: الدين في المفهوم الإسلامي هو المرادف لكلمة النظام في الاصطلاحات الحديثة. المطلوب هو «أن يذعن أصحاب هذا النظام (الإسلامي) لإلوهية الله وربوبيته. فلا يدعون لأنفسهم حق التشريع والأنظمة لأن هذا الحق هو لله وحده في الإسلام وهنا يفترق النظام الإسلامي عن كل الأنظمة البشرية، الافتراق الأساسي».

قال: «لا يمكن أن يقوم البشر بوضع أنظمة الحكم وشرائعه وقوانينه من عند أنفسهم لأن هذا معناه رفض ألوهية الله. ادعاء الإلوهية في الوقت ذاته هو الكفر الصريح».

وكان يرى أن المجتمع الذي نعيش فيه حالياً مجتمع جاهلي، قال: «الجاهلية ليست فترة من الزمان إنما هي حالة من الحالات تتكرر كلما انحرف المجتمع عن منهج الإسلام. في الماضي والحاضر والمستقبل على السواء».

هذه الآراء التي تجاوب معها بعض الشباب المتحمسين لم تكن غالبة على تنظيم الأخوان في ذلك الوقت.

وفي التحقيقات التي أجرتها السلطات المصرية مع قيادات أخوانية في عام ١٩٦٥م وصف التلمساني[1] المرشد الأخواني في ذلك الوقت سيد قطب بأنه

(١) عمر عبد الفتاح عبد القادر مصطفى التلمساني (١٩٠٤ – ١٩٨٦م) المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

«دخيل على الجماعة»، وكان سيد قطب نفسه قبل التحقيقات والاتهامات يرى عمله مستقلاً من القيادات الاخوانية الأخرى قائلا: إن الجماعة البناوية (نسبة لحسن البنا) له بالمرصاد.

الأسباب التي ساهمت في نشر آراء سيد قطب:

عاملان ساهما بصورة كبيرة في ذلك:

العامل الأول: هو في التاريخ كله فإن دماء الشهيد أبلغ تعبيراً عن موقفه وهو حي:

أَتَعْلَمُ أَمْ أَنتَ لا تَعْلَمُ ... بِأَنَّ جِرَاحَ الضحايا فَمُ

فإن آراء سيد قطب الذي لم يكن قائداً للجماعة صارت قوية الصدى في جسم الإسلاميين، وكل التنظيمات المتطرفة بعد ذلك نهلت منها، مثل: تنظيم صالح سرية[1]، وجماعة شكري مصطفى[2]، فضلاً عن تنظيمات قطبية مختلفة، كذلك الجماعات التي تدخل تحت مسمى السلفية الجهادية كلها لا يوجد أساس فكري أو فقهي لها إلا أفكار سيد قطب كما في «معالم في الطريق». لقد صار الشهيد رمزاً لمعاناة الإسلاميين على يد السلطات المصرية. المعاناة التي وثقت لها د. بنت الشاطئ[3]، ود. أحمد شلبي[4] في موسوعة التاريخ الإسلامي.

العامل الثاني: لا يكفي أن يوجد مثل هذا الرمز الذي صنعته سيرة مأزومة وإعدام ما لم تتهيأ ظروف أزمة تتقبل الفكر المتطرف.

---

(١) صالح عبد الله سرية –(ولد ١٩٣٧م)، فلسطيني، أسس تنظيم واسع ومتنوع جغرافياً..

(٢) تنظيم جماعة المسلمين أو التكفير والهجرة (١٩٦٧م): أسسه شكري مصطفى إخواني منشق، ينادي بتكفير المجتمع واعتزاله عزلة مكانية وعزلة شعورية.

(٣) عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطئ (١٩١٣ – ١٩٩٨م): مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة.

(٤) أحمد شلبي (١٩١٥ – ٢٠٠٠م)، دكتور، مؤرخ مصري معروف صاحب موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

كان الفكر القومي العربي على يد الناصرية والبعثية هو الفكر المعبر عن نهضة الأمة لدرجة جعلت كثيرين يحلمون بفجر جديد آتٍ على نحو ما عبر توفيق الحكيم[1] في كتابه«عودة الوعي» (في عودة الوعي ذكر توفيق الحكيم كيف أنه خدع بدعاية الإنجازات الزائفة، ولكن حدث الهزيمة المنكرة أعاد له وعيه).

ولكن كارثة ١٩٦٧م التي حاول إعلام مضلل أن يصفها بالنكسة أطاحت بالأجندات الوضعية القومية، الأجندات القومية الاشتراكية وغيرها من الأجندات الوضعية كالتجربة الشيوعية في اليمن الجنوبي، والتجربة الاشتراكية في النصف الأول من نظام نميري[2] في السودان هذه جميعها منيت بهزائم فكرية وسياسية ما خلق أزمة فكرية وحضارية فتحت الأبواب واسعة للدعوات الإسلامية. أكثرها تشدداً أكثرها قبولاً. هكذا صار للآراء الراديكالية التفكيرية حضور كبير. هذا دون تطور مناسب في معنى النظام الإسلامي الساكن في مفاهيم نظام الخلافة، وتطبيق الشريعة دون استحقاقات الاجتهاد المطلوبة ما أتاح حاضناً لدعوات تلبي تلك الأشواق.

الصحوة الشيعية وآثارها:

سوف نشخص فيما بعد الصحوة الإسلامية في تركيا، ولكننا هنا نشخص الصحوة الشيعية.

لا يشك مسلم عاقل في فضل الإمام علي. وكتب السيرة النبوية والسنن المعتمدة لدى أهل السنة تذكر من فضائله ما لا ينكر. قال النبي ﷺ للإمام علي: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[3]. وقال في غدير خم

(١) توفيق الحكيم (١٨٩٨م – ١٩٨٧م): كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية.

(٢) جعفر محمد نميري (١٩٣٠-٢٠٠٩) قاد الانقلاب المايوي الذي أطاح بالحكم الديمقراطي الثاني في السودان وأسس حكما شموليا في الفترة (١٩٦٩-أبريل ١٩٨٥م) أطاحت به انتفاضة رجب/ أبريل الشعبية المباركة.

(٣) صحيح مسلم.

بعد عودته من حجة الوداع قَال: «اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[1].

هذا الإمام الفاضل نال على يد بني أمية ظلماً انتقامياً:

عبد شمس قد أشعلت لبني هاشم ... ناراً يشيب منها رأس الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند ... لعلي وللحسين يزيد

واغتاله احد الخوارج غيلة منكرة أشاد شعراؤهم بها قال عمران بن حطان السدوسي يمدح ابن ملجم[2] – قبحه الله– في قتله أمير المؤمنين:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ بُطُونُ الطَّيْرِ قَبْرُهُمْ ... لَمْ يَخْلِطُوا دِينَهُمْ بَغْيًا وَعُدْوَانَا

وواصل بنو العباس اضطهادهم للفاطميين من ذرية الإمام علي.

إن ما تخندق فيه فكر الشيعة من ترقية للإمامة والعصمة والتقية نتيجة مباشرة لبطش واضطهاد بلغ بعد قتل الإمام الحسين والتمثيل بجسده ورأسه ما يضارع ما لقيه جده حمزة بن عبد المطلب على يد آكلة الأكباد. كما قال دعبل:

أَسِفُوا على أَنْ لا يكونوا شَارَكوا ... في قَتْلِهِ فَتَتَبَّعُوه رَمِيما

ولا اختلاف بين إئمة أهل السنة على فضل آل البيت على نحو ما عبر عنه أعلم أئمة أهل السنة الإمام الشافعي بقوله:

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبكمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللَّهِ في القُرآنِ أَنْزَلَهُ
كفاكم منْ عظيمِ الفخرِ أَنَّكمُ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

(١) مسند بن حنبل.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن ملجم المرادي، من خوارج النهروان وقاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

وقوله:

انْ كـانَ حُـبُ آلِ محمَّـدٍ رفْضَـاً فَلْيَشْـهَد الـثَّقَلان بـأَنّي رافِضِـي

لذلك ليس مستغرباً أن يتطلع الشيعة إلى يوم عدل وإنصاف منتظر.

في الصراع بين السلطة العثمانية السية والسلطة الصفوية الشيعية تكونت في العراق وفي إيران مؤسسة دينية يقودها مراجع التقليد.

المدهش أنه في كلا البلدين أقدمت القيادة السياسية على نهج تغريبي مارسه مصطفى كمال في تركيا، ومارسه آل بهلوي في إيران.

ناوش القادة الشيعة النظام الشاهنشاهي وساعدهم على ذلك ولاء تراتبي ومصادر تمويل مستقلة عن الحكومة.

شاه إيران كان قوياً بالمقاييس الظاهرة حتى أن الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر وصف بلاده في عام ١٩٧٩م قبيل اندلاع الثورة بأنها واحة استقرار في منطقة مضطربة. ولكن مع هذا الاستقرار الظاهري كان نظام الشاه يعاني من أزمة شرعية لأنه عاد للعرش عن طريق انقلاب دبرته وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ضد حكومة ذات شعبية وطنية عالية بسبب إقدامها على تأميم شركات البترول الأجنبية.

قال مارك كيرتس[١] في كتابه: «مفارقات القوة»: «يجهل كثير من الأمريكيين حجم الغضب الإيراني من بريطانيا وأمريكا لما دبروه ضد بلادهم. فكان لهذا الغضب الإيراني دور في إشعال الثورة الإسلامية».

كنت وصديقي أحمد مختار أمبو[٢] مدير اليونسكو قد قمنا بالوساطة بين أمريكا

(1) Mark Curtis, The Ambiguities of Power: British Foreign Policy Since 1945, Zed Press, 1995.

(٢) أحمد مختار أمبو (ولد ١٩٢١): سنغالي، وأمين عام اليونسكو من (١٩٧٤ – ١٩٨٧م) شغل عدة مناصب وزارية في بلاده.

وإيران أثناء أزمة الرهائن وكان واضحا لنا أن وزير الخارجية الأمريكـي معتـرف بما يستحق الاعتذار.

الثورة الإسلامية في إيران شاركت فيها قوى شعبية واسعة ولكـن قيادتهـا آلـت لقائد ديني من المؤسسة الشيعية.

أفكار آية الله الخميني[1] عن الحكم سجلها في محاضرات وألقاهـا في النجـف في عام ١٩٧٠م ونشرت في كتاب بعنوان الحكومـة الإسـلامية ومضـمونها ولايـة الفقيه. إنها من نفس مدرسة المودودي وقطب في أمر الحاكمية.

كان علي شريعتي[2] وهو أحـد المفكـرين الشـيعة يقـول: إن مهمتـي أن أثبـت للمتدينين التقليدين أن الإسـلام ثـوري، وأن اقنـع الثـوريين مـن غيـر المتـدينين بضرورة العودة للإسلام.

الثورة الإسلامية في إيران أحـدثت دويـاً هـائلاً وألهبـت حماسـة في الحركـات الإسلامية في كل مكـان حتـى في عـالم السـنة، ولأن الثـورة صـادفت بدايـة العـام الهجري الجديد أدت الحماسة الإسلامية المتجددة لحركة جهيمـان بـن يوسـف العتيبي[3] الذي قام ومن معه باحتلال الحرم المكي وأعلـن عـن ظهـور المهـدي واسمه محمد بن عبد الله القحطاني[4].

(١) روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩م): رجل ديـن سياسـي إيـراني ومفجر الثورة الإسلامية، حكم إيران من (١٩٧٩-١٩٨٩) وكان فيلسـوفاً ومرجعـاً دينيـاً شـيعياً صاحب نظرية ولاية الفقيه.

(٢) علي شريعتي (توفي سنة ١٩٧٨م): مفكر إسلامي إيراني وعالم اجتماع.

(٣) جهيمان بن محمد بن سيف الضان الحافي الروقي العتيبي (١٩٣٦ – ١٩٨٠م): موظف في الحـرس الوطني السعودي، ومنفذ حادثة الحرم المكي الشهيرة التي هزت العالم الإسلامي حيـث اسـتولى أكثر من ٢٠٠ مسلح عـلى الحـرم المكـي مـدعين ظهـور المهـدي المنتظـر في (١٤٠٠ الموافـق ١٩٧٩م).

(٤) محمد بن عبد الله القحطاني (٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ – ٩ يناير ١٩٨٠): سعودي وأحد تلامـذة الشـيخ عبد العزيز بن باز، أقنعه جهيمان العتيبي بأنه المهدي المنتظر أثناء حادثة الحرم المكي.

كان لهذه الحماسة أثرها خاصة في المكونات الشيعية في البلدان ذات الأغلبيـة السنية فتحركوا. كان الشيعة في لبنان يشكون تهميشاً فكونوا حركة أمل التي انبثـق عنها فيما بعد حزب الله.

تداعت المؤثرات الدولية بعد ذلك. فالسوفيت احتلوا أفغانستان لكـيلا تنتقـل الثورية الإسلامية عبرها لآسيا السوفيتية الوسطى. واحتلال أفغانستان أدى لحركة الجهاد المضادة ثم إلى تكوين القاعدة لطرد السوفيت من أفغانستان.

وبعد حوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في نيويـورك وواشـنطن تنمـرت الولايـات المتحدة فاحتلت أفغانستان لأنها آوت القاعدة ثـم زورت أسـباباً لغـزو واحـتلال العراق.

هذا التنمر الأمريكي صار جزءاً من سياسة دفاعية أعلنتهـا الولايـات المتحـدة استجابة لرؤى المحافظين الجدد الذين رافعوا من أجل قرن أمريكي جديد بعد أن انتصرت الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة في ١٩٩١م.

سياسة أمريكا الدفاعية صارت: عـدم السـماح لأيـة قـوة تسـاويها، وحقهـا في الدفاع عن نفسها ولو منفردة، وحقها في هجوم استباقي على أعدائها.

وبما أن إيران صارت متحدية الولايات المتحدة فقد صـنفها الأمريكيـون مـع كوريا الشمالية، وكوبا، محوراً للشر.

اتخذ الرئيس الإيراني محمد خاتمي[1] نهجاً معتدلاً ولم تقابله الإدارة الأمريكية باستجابة، بل صنفت إيران جزءاً من محور الشـر. هـذا التصـعيد هـو الـذي أدى لرئاسة أحمدي نجاد[2] المتشددة.

(١) محمد خاتمي (ولد ١٩٤٣) الـرئيس الخـامس للجمهوريـة الإيرانيـة في الفتـرة (١٩٩٧-٢٠٠٥م) وقائد تيار الإصلاحيين في إيران.

(٢) محمود أحمدي نِجَاد (ولد ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦م): الرئيس السادس للجمهوريـة الإيرانيـة (٢٠٠٥م-١٥ يونيو ٢٠١٣م)..

كما صنفت إيران أمريكا بأنها الشيطان الأكبر.

في وجه هذا الموقف حرصت إيران على الاستقواء بالمكونات الشيعية في العالم حولها. اتخـذت إيـران موقـف الـدعم للمقاومـة الفلسـطينية وبالتـالي لحمـاس. ودعمت علاقتها بسوريا التـي يحكمهـا نظـام اسـمياً بعثـي ولكـن فعـلاً علـوي. العلويون مختلفون من الشيعة الاثني عشرية ولكن روجعت العلاقـات للتضـامن في ظل الشيعة الاثني عشرية. بموجـب هـذه المراجعـة في أوائـل السـبعينات مـن القرن الماضي اعترف الشيعة بأن العلويين مسلمون حقيقيون.

الحرب الباردة بين أهل السنة والشيعة أدت لظاهرة الشيعية السياسـية، وفيهـا تكونت جبهة شيعية من الاثنى عشرية، والزيدية، والعلويين.

كان من نتائج الاحتلال الأمريكـي للعـراق ظهـور نظـام سياسـي غلـب عليـه الشيعة ولا سيما في عهد رئيس الوزراء نوري المالكي[1]. العـراق بعـد الاحـتلال الأمريكي وبعد الانسحاب الأمريكي صار تحت هيمنة شـيعية وحكـم ذاتي شـبه مستقل للأكراد في كردستان العراق.

اندلعت ثورة «الربيع العربي» في سوريا في عام ٢٠١١م وقد كانت سلمية ولكن النظام الحاكم الذي نبهته ثورات الربيع العربي في تونس وفي مصر اسـتعد لقمعهـا بالقوة. لذلك تحولت المواجهة في سوريا إلى مواجهة قتالية مـع الوقـت اتخـذت طابعاً طائفياً يستند لدعم إقليمي ودولي.

(١) نوري كامل محمد حسن المالكي أو جـواد المالكـي أو أبـو إسـراء، (ولـد يونيـو ١٩٥٠م): رئـيس مجلس الوزراء العراقي في الفترة (٢٠٠٦ - ٢٠١٤م)، نائب رئيس الجمهوريـة السـابق (سـبتمبر ٢٠١٤- أغسطس ٢٠١٥م)، أمين عام حزب الدعوة الإسلامي.